الفصـــل الخـامس

نظم متمركزة حـول التلميذ

- يحظى جميع التلاميذ بالتقدير ، وتقدم لهم الموارد الفردية التى يحتاجون إليها لكى ينجحوا .
- البؤرة الأساسية للتعليم والتعلم هى التلميذ .
- يتسم المنهج بالمرونة والتركيز على التلميذ ، ويهدف تصميمه إلى مساعدة التلاميذ على الإنجاز .
- يعمل التلاميذ والمدرسون والآباء وغيرهم ممن يشاركون فى رعاية النشء معًا على تحقيق النمو المتكامل للطفل .
- يحصل التلاميذ ذوو الدخل المنخفض على المزايا نفسها ، التى يحصل عليها التلاميذ ذوو الدخل المرتفع .
- يعامل كل تلميذ باحترام .
- توجد توقعات عالية من جميع التلاميذ .
- تحفز الخبرات التعلمية التلميذ للنمو والتقدم .
- تركز كل مدرسة على حاجات عملائها – الأطفال والآباء بالدرجة الأولى – بجانب المجتمع الكبير .
- يتمتع جميع التلاميذ بفرص متساوية فى الوصول إلى الموارد التكنولوجية .

« فى كل ما حولنا نرى دلائل على أننا نعيش فى خضم تحول ثقافى ، يغذيه إدراكنا بأن التنافس والاستقلال والعزلة التى تمسكنا بها فى الماضى لا تستطيع رفع وزيادة قدرات الروح الإنسانية التى تدفعنا فى المرحلة التالية من تطورنا، ونحن نصنع طرقًا وأساليب جديدة للحياة المشتركة فى هذا العالم . سوف يكون تبادل الاعتماد والتعاون ، وليس الاستقلال والعزلة ، الأساس الذى تقوم عليه حضارة عالمية جديدة ، تتطلب نماذج عقلية جديدة وهياكل جديدة للتعلم » .

ستيفانى بيس مارشال
(Stephanie Pace Marshall)
رئيس أكاديمية إيللينوى للرياضيات والعلوم

كثيرًا ما يُعَبِّر النقاد الواعون بنظامنا التعليمى عن قلقهم من أن المدارس تبذل جهدًا كبيرًا فى إرضاء الكبار، إلى الدرجة التى لا يبقى عندها إلا القليل جدًّا من الوقت والجهد للاهتمام بالتلاميذ الصغار . تواجه المدارس الكثير من الضغوط من جهات متعددة : القوى السياسية والآباء وهيئات التدريس ، وحتى المسئولين عن الحدائق والمتنزهات العامة ، الذى يضغطون على المدارس لكى لا تفتح أبوابها قبل يوم العمل (Labor Day) ، لكى تحتفظ هى بالتلاميذ الذين يعملون فيها وتتمكن من العمل إلى نهاية الموسم .

كثير من هذه الضغوط والمطالب التى تستترف الوقت مشروعة . ومع ذلك يجب أن تكون المدارس ونظم التعليم فى القرن الحادى والعشرين أكثر تمركزًا حول التلميذ ، بجانب اهتمامها ومراعاتها لحاجات الكبار .

حدد مجلس الواحد والعشرين السمات التالية للمدارس ونظم التعليم المتمركزة حول التلميذ فى القرن الحادى والعشرين :

- **يحظى جميع التلاميذ بالتقدير ، وتقدم لهم الموارد الفردية التى يحتاجون إليها لكى ينجحوا .**

يؤكد مجلس الواحد والعشرين على أن الكلمة المفتاحية هنا هى « جميع » . إن مفهوم العمل يتغير فى عصر العولمة والمعرفة / المعلومات . يتناقص عدد الوظائف التى يمارسها عمال غير مهرة ، كذلك يستغنى العصر الرقمى عن بعض العاملين نتيجة لاستخدام تكنولوجيا ذات كفاءة أعلى . وعلى سبيل المثال .. منذ ثلاثين عامًا كانت صحيفة نيويورك تايمز (The New York Times) تستخدم أربعة آلاف عامل لينوتيب، حل محلهم جميعا الآن خمسون عامل على الكومبيوتر .

وتقول مونيكا برادشر (Monica Bradsher) : « نحن لا نستطيع أن نستغنى عن أحد أو نتجاهله ؛ لأنه لا توجد وظائف غير ماهرة لهؤلاء الذين يسقطون من الشقوق » .

تضيف كيمبرلى سيترون (Kimberly Cetron) المدرسة فى مقاطعة فيرفاكس بولاية فرجينيا (Fairfax County, Va.) : « من أفضل السبل لتقدير تلميذنا ومساعدتهم على النجاح ، أن تكون توقعاتنا منهم عالية » .

وتحذرنا كالى لانجوهر (Callie Langohr) قائلة : « على المدارس أن توفر للتلاميذ فرصة عادلة ، أما ما يفعلونه بها فهو اختيارهم » .

يجب على المدارس القادرة على إعداد التلاميذ للحياة فى القرن الجديد أن توفر الأدوات المادية والموارد البشرية اللازمة لمساعدة كل طفل لتحقيق قدراته . ولكن المدارس لا تستطيع القيام بهذه الوظيفة وحدها . سيحتاج المتعلمون إلى القدرة على

الوصول إلى المعلومات ، والدعم من بيوتهم ومن المكتبات ومراكز المجتمع المحلى . يجب أن تعمل المدارس والمجتمعات المحلية التى تخدمها معًا ، وأن تجعل التعليم ونجاح التلاميذ على قمة أولوياتها . وسوف يتخذ نجاحهم صورًا متعددة : النجاح الفردى والمساهمات فى المجتمع والتميز فى العمل .

- **البؤرة الأساسية للتعليم والتعلم هى التلميذ .**

خلال القرن العشرين تبنت معظم المدارس فى الولايات المتحدة النموذج الصناعى، الذى جعل المدرس مسيطرًا على عملية التعلم . اقتبس النظام نفسه بعض سمات خط التجميع (assembly line) . كان التلاميذ يوضعون فى المدرسة حوالى السادسة من عمرهم . وافترضنا أنهم سيخرجون بعد اثنى عشر عامًا وقد أحسن تعليمهم . وحتى ما بعد الحرب العالمية الثانية بقليل ، كان المتسربون والملفوظون من نموذج خط التجميع يتركون المدرسة ؛ لكى يجدوا وظائف فى سوق العمالة غير الماهرة .

ونحن ندخل القرن الحادى والعشرين ، يواجه التلاميذ عالمًا أشد تنافسًا ووظائف غير ماهرة أقل . يتطلب الاقتصاد العالمى عمالاً أكثر معرفة ، يتمتعون بدرجة عالية من الإبداع . وسوف يتحتم على الناس فى القرن الجديد أن يكونوا موجهين ذاتيًّا ومعتمدين على النفس بدرجة أكبر ، سواء فى مكان العمل أو كمواطنين .

لكى تتكيف مع هذه الحاجات المتغيرة ، حاولت المدارس فى الربع الأخير من القرن العشرين استكشاف نماذج جديدة ومختلفة للتعليم . ومن المعالم البارزة فى هذا المجال الانتقال من البرامج المتمركزة حول المدرس إلى البرامج المتمركزة حول التلميذ . فى القرن الحادى والعشرين ، سوف يواجه المدرسون – الذين يجب عليهم أن يواصلوا التعلم – تلاميذ يستطيعون الحصول على المعلومات من جميع أنحاء العالم . ولذلك .. سوف يصبح المدرسون منسقين للتعلم ، يساعدون التلاميذ على تحويل المعلومات إلى معرفة والمعرفة إلى حكمة . وتلاحظ كالى لانجوهر (Callie Langohr) أنه : « كثيرًا ما يفرض الكبار على الصغار ما يدرسونه ويتخذون القرارات نيابة عنهم ، دون تغذية مرتدة من التلاميذ . وهذا لا يتفق مع وضع التلاميذ فى مركز عملنا » .

يؤكد ويليام سبادى (William Spady) أن الوقت الذى ينفق على خط التجميع التعليمى ، يحدد بدقة بالغة حياة ومستقبل التلميذ فى المدرسة – سنة فى دراسة اللغة الإنجليزية ، وأربع سنوات فى الرياضيات وهكذا . ويقول سبادى إن المهم هو أن يحقق التلاميذ نتائج معينة ، تساعدهم على النجاح فى الحياة .

- **يتسم المنهج بالمرونة والتركيز على التلميذ ، ويهدف تصميمه إلى مساعدة التلاميذ على الإنجاز .**

ينقد البعض التعليم الأمريكى ؛ لأنه يميل إلى العرض (أو التوسع فى التعلم والمعرفة) على حساب العمق . صحيح أن المنهج يجب أن يتسم بالمرونة والتركيز على التلميذ والغرضية ، ولكن يجب أن لا يقف عند ذلك . لا يكفى مجرد تمكين التلاميذ من الاكتشاف . على المدارس أن تساعد التلاميذ على تنمية نظام للتعلم . تقول مارلين ماتيس (Marilyn Mathis) المراقبة فى مورفريسبورو بولاية تنيسى (Murfreesboro, Tennesee) : « المرونة شىء جيد ، ولكن يجب أن يتحقق أيضًا بعض الاستمرارية وبعض المجال والتتابع » (continuity, scope & sequence) .

وتقترح كاتى مولهولاند (Katie Mulholland) : « يجب أن يعكس إنجاز التلميذ ليس فقط رغبات التلميذ ، بل أيضًا حاجات المجتمع ، ربما على النحو الذى تعكسه المستويات المتفق عليها فى المجتمع المحلى » .

لن تختفى الأساسيات فى القرن الحادى والعشرين . ولكن تدريسها يجب أن يصبح أكثر مرونة وفردية ، بحيث يراعى ميول ورغبات كل تلميذ .

- **يعمل التلاميذ والمدرسون والآباء وغيرهم ممن يشاركون فى رعاية النشء معًا لتحقيق النمو المتكامل للطفل .**

عندما يدخل التلاميذ المدرسة .. فإنهم يعكسون عادة مميزات ومثالب المجتمع المحلى الذى تربوا فيه . وعندما يكرس الآباء أنفسهم لإظهار أفضل ما فى أطفالهم يتوارى كثير من العيوب .

تتطلب تربية الطفل عمل فريق . وتحتاج المدارس إلى مساعدة ودعم الآباء والمجتمع المحلى . وفى ختام القرن العشرين نجد أكثر من ٧٥% من الأطفال تحت سن ١٨ يعمل آباؤهم خارج المنزل تحت ضغط الضرورة والظروف الاقتصادية أو الرغبة فى ممارسة مهنة . لذلك .. تقوم مؤسسات رعاية الطفولة بدور مهم فى إعداد الأطفال للمدرسة .

تعمل بعض المدارس بمشاركة الآباء – كجزء من اجتماعات الآباء والمدرسين – على وضع خطة عمل يلتزم بها الآباء والمدرسون . وبمقتضاها يوافق كل طرف – المدرس والوالد أو أى شخص يتولى الرعاية وفى بعض الأحيان التلميذ – على ما يجب عليه القيام به للمساعدة فى تحقيق نجاح التلميذ فى المدرسة .

- **يحصل التلاميذ ذوو الدخل المنخفض على المزايا نفسها التى يحصل عليها التلاميذ ذوو الدخل المرتفع .**

يركز المربون ونظم التعليم فى أنحاء الأمة المختلفة على توفير فرص متكافئة لجميع التلاميذ ، أيًّا كانت خلفياتهم (أصولهم)، وإن لم تتبلور بعد الاستجابة لهذا التحدى. ألغى البعض تصنيف التلاميذ فى مجموعات (tracking) ، ويعمل آخرون على جعل التكنولوجيا ميسرة على نحو متكافئ قدر الإمكان لجميع التلاميذ . وتقاتل الغالبية لتوفير الدعم المالى اللازم للإبقاء على هذه الجهود .

كيف يستطيع الآباء الانضمام إلى فريق التعليم ؟

للمساعدة فى التأكد من نجاح كل طفل فى المدرسة ، يستطيع الآباء :

- القراءة بصوت عال لأطفالهم .
- مساعدة أطفالهم على تعلم التعامل مع الآخرين ، والاتصال بهم ، وتحمل المسئولية .
- اختيار مؤسسات رعاية الأطفال بعناية .
- الاهتمام بالمدرسة والمشاركة فى أعمالها .
- تحديد الوقت المخصص لمشاهد التليفزيون ، وتكليف الأطفال بأداء أعمال معينة ، وإتاحة الفرصة لهم للاختيار .
- متابعة الأمور المدرسية ، والمشاركة عند الحاجة .
- المشاركة فى جماعات ولجان الآباء المدرسية ، أو الترشيح لمجلس إدارة المدرسة .
- مقتبس من :

Parenting Skills ... Bringing Out the Best in Your Child, American Association of School Administrators 1989, revised 1999.

يقول هارولد بريور (Harold Brewer) : « يجب ألا يشعر أى تلميذ بالإعاقة أو الضرر نتيجة لما تفعله المدرسة أو لا تفعله ، مع الاعتراف بأن بعض التلاميذ سوف يأتون إلى المدرسة دائمًا فى وضع أفضل من زملائهم ؛ نتيجة لما يتوافر لهم من دعم إضافى فى منازلهم » .

ويصرح هارولد هوى (Harold Howe) ، مفوض التعليم الأسبق فى الولايات المتحدة والمراقب والأستاذ بجامعة هارفارد ، بأن هذه القضية واحدة من أهم ما تواجهه المدارس ، ونحن ننتقل إلى القرن الحادى والعشرين .

- **يعامل كل تلميذ باحترام .**

يستجيب الأطفال مثل الكبار للاعتراف والتقدير . والمدرسة أحد الأمكنة التى يجب أن يعامل كل واحد فيها باحترام . ويلاحظ ستيفن هاينيمان (Stephen Heyneman) أنه يجب ألا يقتصر الأمر على شعور التلاميذ باحترام الآخرين لهم ، بل يجب عليهم أيضًا أن يعبروا عن احترامهم للآخرين . هذا الإحساس بالاحترام يجب أن يسود المدرسة كلها ، من المطعم وغرفة الغسيل إلى الفصول الدراسية ومكتب المراقب وغرفة مجلس الإدارة .

فى تلخيصه لمشاورات مجلس الواحد والعشرين فى ماونت ڤيرنون (Mount Vernon) ، أعلن كارل هيرتس (Karl Hertz) ، رئيس الرابطة الأمريكية لمديرى المدارس فى ذلك الوقت ، أن أحد الأهداف الحقيقية لمشروع الألفية هذا ، هو : « تحرير عبقرية أطفالنا ... وتعليمهم أن يكونوا أناساً خيرين » .

- **توجد توقعات عالية من جميع التلاميذ .**

نحن نرتفع إلى مستوى توقعاتنا. إذا كنا نتخيل أنفسنا ناجحين فى مجالات متنوعة، فإن فرصنا فى تحقيق أحلامنا ستتحسن بدرجة كبيرة . ودون هذه التوقعات .. نفتقر إلى البوصلة أو النجم الذى يهدينا . لا يكفى أن تتوقع المدارس ونظم التعليم فى القرن الحادى والعشرين مستويات عالية من تلاميذها ، بل يجب أيضًا أن تتوقع المجتمعات

المحلية مستويات أداء رفيعة من مدارسها . وهذه التوقعات ينبغى أن يصاحبها الدعم اللازم لمساعدة التلاميذ والمدارس على الإنجاز . وذلك أن التوقع او المستوى الرفيع الذى لا تصاحبه الموارد الضرورية يصبح نوعًا من العقاب .

- **تحفز الخبرات التعلمية التلاميذ للنمو والتقدم .**

تحذرنا صوفى سا (Sophie Sa) المديرة التنفيذية لمؤسسة باناسونيك (Panasonic Foundation)، بألا نقمع أو نحبط التلاميذ لأننا نشعر أنهم واقعيًّا لا يستطيعون تحقيق شيء ما . وقد يشعر الكبار أحيانًا بأن خبرة تربوية معينة أكبر من قدرات التلميذ ، ومع ذلك يجب أن نكون أكثر ميلاً إلى تشجيع الطفل وتزويده بالأدوات اللازمة للنجاح .

ويرى هارولد بريور (Harold Brewer) أنه عندما يقاوم الآباء التوقعات العالية ويحاولون كبح جماح أطفالهم ، يجب أن يتدخل المجتمع المحلى نيابة عن جميع التلاميذ . وينبغى تشجيع جميع التلاميذ للدخول فى مجال واسع من الخبرات التعلمية ، من تلك الموجودة فى المنهج المدرسى إلى الموجودة فى المجتمع المحلى ، من ارتياد فرص التعلم المتاحة عن طريق التكنولوجيا إلى ملاحقة الأفكار الإبداعية .

- **تركز كل مدرسة على حاجات عملائها – الأطفال والآباء بالدرجة الأولى – بجانب المجتمع الكبير .**

بينما يتفق معظم المربين على أن التلاميذ هم « العملاء » الأساسيون للمدارس ، يعتقد آخرون أن المجتمع الأمريكى – ويشمل الآباء – يأتى بعدهم مباشرة فى المرتبة الثانية . وإذا كنا نأمل فى المحافظة على مجتمعنا الحر الديموقراطى واقتصادنا الحر القائم على أساس السوق ، علينا أن نستمر فى تعليم أطفالنا . ويضيف جورج نيلسون (George Nelson) قائلاً : « الأطفال والآباء والمجتمع المحلى يفيدون جميعًا من نظامنا التعليمى » .

- **يتمتع جميع التلاميذ بفرص متساوية فى الوصول إلى الموارد التكنولوجية .**

قرر جوردون أمباك (Gordon Ambach) ، المدير التنفيذى لمجلس كبار المسئولين عن المدارس فى الولايات (Council of Chief State School Officers) ، فى شهادته أمام اللجنة الفيدرالية للاتصالات (Federal Communications Commission) ، أنه لن تكون هناك مساواة حتى تصبح أجهزة الكومبيوتر منتشرة مثل الكتب والأقلام والألواح . وفضلاً عن ذلك .. لن تتحقق المساواة الحقيقية حتى يصبح فى إمكان كل تلميذ الوصول إلى التكنولوجيا واستخدامها داخل المدرسة وخارجها .

مع نهاية القرن العشرين ــ أصدرت الرابطة الأمريكية لمديرى المدارس (AASA) بالتعاون مع مؤسسة لايتسبان (Lightspan Partnership) دراسة توضح أن الاستثمار فى البرمجيات وتدريب المعلمين يجب أن يواكب شراء أو تأجير المعدات والأجهزة . وفى المؤتمر الصحفى الذى أعلنت فيه نتائج هذه الدراسة ، قرر بول هوستون (Paul Houston) ، المدير التنفيذى للرابطة ، أن « الأخبار السارة هى أن المربين قد أسهموا بدرجة كبيرة فى إنجاز التلاميذ فى التكنولوجيا . أما الأخبار السيئة .. فهى أن الفجوة الرقمية (digital divide) تزداد اتساعًا بين التلاميذ الذين يستطيعون استخدام أجهزة الكومبيوتر فى منازلهم ، وأولئك الذين لا يستطيعون » .

سمات إضافية
نظم متمركزة حول التلميذ

عند معالجة النظم المتمركزة حول التلميذ حدد مجلس الواحد والعشرين حوالى عشرين سمة للمدارس ونظم التعليم ، القادرة على إعداد التلاميذ لعصر العولمة والمعرفة / المعلومات ، يشبه كثير منها العناصر الأخرى التى جرت مناقشتها فى هذا الفصل . وتشمل :

- **التعلم هادف ومفيد فى حياة الأطفال .**
- **يُعترف بأساليب التعلم الفردية والقدرات الخاصة ، ويتم التعامل معها .**
- **يعمل التلاميذ ويفكرون ، بينما ييسر المدرسون عملية التعلم .**

- فى العملية التربوية يجرى تنمية القيم الأساسية ، مثل : الحماسة لبناء المعرفة ، والنظام ، والمنطق ، والعمل الشاق .
- ترعى عمليات التعليم والتوجيه بناء الكفايات ، المتسم بالمعرفة والتوجيه الذاتى .
- تشغل المدارس التلاميذ فى العملية الديموقراطية ؛ لمساعدتهم على تعلم كيف يصيرون مواطنين نشطين مسئولين .
- يتعلم التلاميذ فى بيئة تسمح بالمخاطرة ، وتشجع على حل الصراعات وحل المشكلات .
- يُقابَل كل طفل عند مستواه .
- يتوقع أن يكون لدى التلاميذ آمال وتطلعات عالية .
- التعليم يحرر ويطلق العبقرية والخير فى جميع الأطفال .
- يجرى تمكين الأطفال ذوى الدعم الأسرى أو المجتمعى المحدود .
- يوجد نصير أو راعى شخصى من الكبار لكل تلميذ .
- يجرى تشجيع التلاميذ القادرين على الإنجاز فوق المستوى العادى ، وتتاح لهم الفرصة لكى يفعلوا ذلك .
- يهتم التعليم بالإلهام والأمل (inspiration & aspiration) وليس تقدير الذات غير الناقد .
- يجرى توفير خبرات تعلمية ملائمة لنمو الأطفال والصغار .
- تراعى أصوات وأفكار التلاميذ عند تخطيط المنهج والعمليات المدرسية .
- تقوم البرامج – إلى حد ما – على حاجات وإمكانات التلاميذ الموجودين فعلاً فى المدارس .
- يستخدم التصنيف غير المتجانس لدعم تعلم جميع التلاميذ ؛ وتراقب المدارس نجاح التلاميذ بعد عشر سنوات من تخرجهم .